نقابات العمال

طريق الطبقة العاملة إلى الرقى والرخاء
ودعامة التقدم الاجتماعى فى مصر الصناعية

بقلم الأستاذ عبد الحميد عبد الغنى

استهدفت حركة العمال فيما مضى لكثير من المساوئ والأخطاء، فاحتمل العمال فى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية كثيرا من التجارب والأعباء . وقد آن لهذه الطبقة المجاهدة أن تتلافى أخطاءها وتخفف أثقالها ، فتسير فى طريق نهضتها على هدى وبصيرة ، نشيطة الحركة فسيحة الخطى .

فما سبيلها إلى ذلك ؟

ليست بيدها سوى وسيلة واحدة : إما أن تأخذها فتنهض دعائمها وترقى شئونها، وإما أن تدعها فتظل فى شدتها وعنائها متخلفة وراء الصفوف . وهـذه الوسيلة هى اتحاد العمال فى " نقابات " تنظم قواهم وجهودهم ، وتؤلف ميولهم وأفكارهم ، فتنهض بهم ماديا وأدبيا إلى مستوى يقفون فيه جنبا لجنب مع أصحاب الأعمال .

فالعامل المفرد الأعزل لا يستطيع أن يساوم صاحب العمل — كما يساوم المشترى البائع — على الأجر الذى يتقاضاه، أو على المدة التى يقضيها فى العمل، أو على نوع العمل الذى يزاوله . فإما أن يقبل ما يعرض عليه من أجر زهيد أو جهد مرهق أو عمل تحفه الأخطار، وإما أن يرفض مؤثرا البطالة وما تحمله من مشاق تبلغ حد العرى والجوع ! أما صاحب العمل فيسعه أن يتوقف عن العمـل مدة ينفق فى أثنائها مما أدخر من أرباح طائلة ، على نقيض العامل الذى يعيش يوما بيوم فبيت لا يدرى أيجد قوت غده أم لا ؟ ثم ماذا يضطر صاحب العمل إلى وقف أعماله ؟ إنه يستطيع أن يجد بدل العامل الذى رفض أجره البخس أو عمـله المجهد عشرات ومئات من العمال يقبلون حكمه وقضاءه اتقاء للتعطل، وفرقا من الجوع . بل إنه يستطيع أن يستغنى عن عمال المنطقة التى يقيم فيها بأسرها ويستورد عمالا من منطقة أخرى يرضون بما لم يرض به هؤلاء، بل إنه يستطيع غالبا أن يستغنى عن هؤلاء وأولئك بآلة لا تكلفه

تفقات باهظة كهذه التي يتقاضاها العمال ، ولا تملك معه على هذا قبولا ورفضا ، أو قناعة وطمعا ! أما العامل فمن اين له بصاحب عمل بدلا من هذا الذى أبى عمله ؟ هل تتفتح له أبواب المصانع إذا أغلق أحدها فى وجهه ؟ أم هل يستطيع أن يستورد صاحب عمل من الخارج كما يستطيع صاحب العمل أن يستورد مئات من أمثاله ؟ أم هل يستطيع أن يخترع آلة يحلها محل صاحب العمل و يسيرها كيف يهوى و يشاء ؟ ؟

وثمة أمر آخر أخطر وأقسى ، هو جهل العامل ، الذى يؤذيه أكثر مما يؤذيه فقره . فقلما يصيب العامل حظا من الثقافة أو الدراية يمكنه من تدبير شئونه وتيسير أموره ، إذا ما هى اصطدمت بمصالح صاحب العمل الذى اكتسب فى الغالب نصيبا من العلم والخبر ، يمكنه من توجيه "سوق العمل" الوجهة التى تفيده وترضيه .

هذا هو مركز العامل الفرد ومركز صاحب العمل الفرد ، ذلك فقير وضعيف وجاهل وهذا غنى وقوى ومثقف . ولكن ما ذا يكون الأمر إذا ما اتحد العمال ؟ ؟ تتعادل كفة العامل مع كفة صاحب العمل ، فيستطيع كل منهما أن يساوم الآخر مساومة حرة لا غصب فيها ولا إكراه .

لماذا ؟

لأن هذه الجمعيات المؤلفة من العمال تمكن كل عامل فيها من أن يتوقف عن العمل المجحف المرهق بما تمده به من الإعانة فى أثناء بطالته . ولأنها تجمع العمال من صف واحد فلا يستطيع صاحب العمل أن يتفق مع العامل على أنه فرد مستقل ، ويفرض عليه رغباته وشروطه كيف يشاء ، بل عليه أن يتفق مع العامل على أنه عضو فى جماعة كبيرة تؤيده وتؤازره وتقويه . ولأن هذه الجمعيات يرأسها ويوجهها رجال مثقفون مدربون فنى وسعهم أن يمدوا العمال بآراء وافية عن سوق العمل فلا يكون جهلهم وسيلة لتحكم أصحاب الأعمال فى رزقهم وحياتهم .

* * *

تنحصر الأغراض التى تسعى إليها نقابات العمال فيما يأتى :

١ — إحلال المساومة الإجماعية محل المساومة الفردية عند الاتفاق على الأجور . فلا يتفق صاحب العمل مع العامل بمفرده على الأجر الذى يتقاضاه و يتيسر له عندئذ أن يتحكم فيه كيف يشاء ، بل عليه أن يتفق مع النقابة بأسرها ، وهى التى تستطيع بفضل اتحادها وموارداها أن تساومه على الأجر مساومة حرة لا يغبن فيها حق العامل . وأصحاب الأعمال مضطرون فى هذه الحالة إلى التساهل فى إجابة مطالب النقابات والاتفاق معها على الأجور التى ترتضيها ، وإلا امتنع على جميع العمال المنتظمين فى هذه النقابات أن يقبلوا أعمالهم .

٢ — إيجاد حد أدنى لمستوى الأجور . وهنا يقول بعض الاقتصاديين إن اتحاد العمال لا يمكنهم من أن يحددوا مستوى الأجور كيف يريدون ، وهذا صحيح ، لأن هذا المستوى يخضع لظروف اقتصادية ليس فى وسع العمال أن يسيروها وفق هواهم . ولكن العمال لا يتحدون ليسعوا إلى تحديد أجور معينة لا بد من تقاضيها ، بل لينالوا أكبر أجر تسمح به الحالة الاقتصادية العامة . فإذا كانت حالة الإقليم المالية تسمح بأجر قدره عشرون قرشا فانهم يتحدون ، لا لينالوا ثلاثين قرشا ، بل ليمنعوا أصحاب الأعمال من أن ينقصوا أجرهم عن هذه العشرين .

٣ — وضع حد أعلى لمدة العمل اليومى . وقد وفقت نقابات العمل فى أوربا الى دفع الحكومات إلى تحديد ساعات العمل ، فصارت فى الغالب لا تزيد على ثمانى ساعات فى اليوم الواحد ، وأحيانا لا تتجاوز أربعين ساعة فى كل أسبوع ، بعد أن كانت مدة العمل اليومى فى مستهل عهد الصناعة الحديثة تبلغ خمس عشرة ساعة ! وإنقاص ساعات العمل لا يفيد العامل فى جسمه وصحته فحسب ، بل يفيد المجتمع كله بما يؤدى إليه من علاج مشكلة البطالة ، ذلك أن من متناقضات الحياة الاقتصادية أن تنقسم الطبقة العاملة قسمين : أحدهما يعمل الى حد يرهقه ، وثانيهما يتبطل الى حد يضنيه ، مع أنه لو قسمت "كمية العمل" الموجودة على الفريقين ، لأنقذ الأول من الإرهاق وأنقذ الثانى من البطالة .

٤ — المطالبة بجعل الأعمال التى يزاولها العمال غير مرهقة للجسم ولا مؤذية للصحة ولا معرضة للأخطار . وقد قامت الحكومات ، مدفوعة بجهود النقابات ، إلى تحقيق كثير من هذه المطالب ، فهى تفرض على أصحاب الأعمال أن تكون مصانعهم فسيحة رحبة ينفذ إليها الضوء ويتجدد فيها الهواء وتنصرف منها الغازات الضارة التى تنبعث من النوافذ والآلات ، وتحتم عليهم أن يستخدموا من الوسائل الواقية مالا يعرض العمال لكثير من الإصابات ، وتفرض عليهم تعويضات يدفعونها للعمال اذا هم أصيبوا من جراء آلاتهم أو أعمالهم .

٥ — إيجاد " تأمين متبادل " بين العمال ضد المرض والإصابة والشيخوخة والبطالة وكل ما يتعرضون له من ظروف تمنعهم من العمل والكسب . والنقابة أشبه شىء بجمعية تعاونية تسعى الى مصالح مشتركة . فاذا دفع كل عضو للنقابة بضعة قروش كل شهر تجمع من هذه القروش القلائل آلاف الجنيهات التى تحمى العامل من الغوائل التى تهدده فى كل آن ، أى أن النقابة تحمل هذه الفكرة السامية ، فكرة التعاون ، فيعيش الفرد للجماعة وتعمل الجماعة للفرد ، وبذلك يقضى على روح الأنانية التى لا تسرى فى بيئة إلا أفسدتها .

٦ — ترقية مستوى العامل الأدبى ، فنقابات العمال لا تقتصر على السعى الى هـذه الأغراض المـادية ، بل تجعل من أماكنها أندية يؤمها العمال ليقرأوا فيها الجـرائد والمجلات ويطالعوا فيهـا الكتب التى يؤلفها لهم زعمـاؤهم وكتابهم ، وليسمعوا المحاضرات القيمة التى تنبـه أذهانهم وتوجهها إلى التفكير فى نواح قيمة منتجة بدلا من قتل الوقت فى المقاهى بين الميسر والخمر والمخدرات ، ولهذا لا نعجب اذا عرفنا أن كثيرا من رجال الأعمال فى أوربا وأمريكا يشترطون فى عمالهم أن يكونوا منتظمين فى نقابات ترقى بتفكيرهم ومستواهم .

ويعترض كثيرون على توحيد صفوف العمال بأن نقاباتهم تتخذ من " الاضراب " سلاحا تشهره فى وجوه أصحاب الأعمال اترغمهم على تحقيق مطالبها مهما أسرفت وتغالت فيها . ولكن الواقع أن النقابة إذا كانت منظمة تنظيما دقيقا ، وموكولة الى رجال أكفاء قادرين فإنها تستطيع أن تحقق كثيرا من أغراضها دون أن تلجأ الى الاضراب ، كما يستطيع القائد المحنك — على حد قول العـلامة جيد — أن يكسب الحرب دون أن يخوض معمعة القتال . والواقع أن أفضل النقابات نظاما وأعظمها قوة وأشدها تأثيرا هى التى تتخـذ سبيل التفاهم والحسنى ولا تلجأ الى الاضراب إلا اذا أعجزتها شتى الطرق وقهرتها الحاجة القصوى .

هذا وقد أباحت الحكومات للعمال حق الاضراب مع استثناء العمال القائمين بالمرافق العامة التى تمس المجتمع فى حياته اليومية كمرافق المياه والضوء والسكك الحديدية . وذلك أن الحكومات وجدت نفسها عاجزة عن أن تمنع أصحاب الأعمال من أن يتحدوا ضد العمال . فكان من العدالة أن تبيح للعمال أن يتحدوا جميعا وينظموا الاضرابات العامة لينالوا حقوقهم من أصحاب الأعمال .

* * *

هذا هو طريق العمال إلى القوة والنهوض : اتخذه من قبل عمال أوربا وأمريكا لجمع شتاتهم وتوحيد صفوفهم ، فإذا بهم أقوياء لا تهضم حقوقهم ، ولا تهمل أمورهم ، وإذا بهم مثقفون تفتح عيونهم على ما يجرى فى بيئتهم ووطنهم والعالم جميعا من مشاكل وقضايا وإذا بهم بعد ذلك قوة يقام لها وزن ويخشى بأسها ويعتد بها فى كل أمر خطير .

فليحصر عمالنا همهم وجهدهم فى تحقيق وحدتهم بنقابات منظمة ، تجمعهم معا ، سعيا إلى مصالحهم ودفاعا عن حقوقهم ، ولتكن غايتهم من هذه الوحدة رفع مستوى حياتهم المـادى والأدبى إلى درجة يمكنهم عندها أن يؤدوا واجبهم فى نهضتنا الصناعية القائمة على خير الوجوه ، دون أن يكون فى سعيهم إلى مصالحهم ومحافظتهم على حقوقهم ما يقيم العقبات فى طريق تقـدمنا الاقتصادى الذى يقتضى تعاون الطبقة العاملة وأصحاب العمل فى سبيل المصلحة القومية العامة .

وها هى الحكومة الرشيدة تهيئ للطبقة العاملة طريق الاتحاد والتعاون ، إذ تجد فى استصدار قانون لتنظيم نقابات العمال على أساس يحفظها من أسباب الفوضى والاضطراب ويقيها من ذوى الأغراض والأطماع ، ويمكنها من تحقيق آمال العمال فيها فترفع أجورهم وتخفف أعباءهم وتصلح شؤونهم وترقى بمستواهم الفكرى والخلقى ، فليعد العمال أنفسهم لاستقبال هذا العمل المجيد الذى تجد الحكومة فى إنجازه ، وليعلموا أن عمال أوربا وأمريكا لم يرقوا ولم ينهضوا إلا عن طريق واحد هو الاتحاد فى نقابات منظمة مخلصة جمعت شملهم وشدت أزرهم ، وجهرت برأيهم ، واستخلصت حقهم ، فلم لا يهتدى عمالنا بآثار زملائهم الذين سبقوهم إلى الرقى واليسر ، فينظموا صفوفهم تحت لواء النقابات التى تحفظ لهم حقوقهم دون أن تعترض طريق النهضة الصناعية بعقبة ما ، إذ هى طريق الطبقة العاملة إلى الرقى والرخاء ودعامة التقدم الاجتماعى فى مصر الصناعية .

عبد الحميد عبد الغنى

من أسواق الذهب لشوقى

— العتاب رفاء الود .
— خدع العقلُ الأمم ، ويخدعُ الهوى العقل .
— من حمل نوائب الحق حمل الأمانة كلها .
— لو حطمت السن المرأة ما حطمت مرآتها .
— ربما منعتك الحقوق الكلام ، وألجمت العهود فاك بلجام .
— ما مات الحق فى قوم وفيهم رجل حى .
— من ذهب يستقصى سرائر النفوس لم يرجع .